

المجموعة الرابعة من الأسماء الحسنی التي تدخل في باب الولاية والنصر

مقدمة

بعد أن استعرضنا أسماء الله تعالى التي تدخل في باب الرأفة والرحمة، نذكر مجموعة أخرى تدخل في باب الولاية والنصر.

لما كان الإنسان عاجزاً عن كمال التدبير لأمره، ضعيفاً عن تنفيذ ما يريد، وهو بحاجة إلى قادرٍ عظيم، يتولى تدبير أمره، وتنفيذ مراداته، ونصره على عدوه، ومساعدته في التغلب على كل عقبة يقف في طريق نجاحه - خاصة في هذا الزمان العسير الذي تمرُّ به الإنسانية عامة، والشعوب الإسلامية خاصة - فهو بحاجة إلى وليٍّ يتولاه، ووكيل يتوكل عليه فيزغاه، وكافٍ يكفيه، وصمدٍ يرجع إليه في أمره كله، وناصرٍ يفتح عليه بالنصر، يستجيب له إذا دعا، ويسعفه إذا توسل إليه.

ولا يملك ذلك كله في الحقيقة إلا الله الخالق القادر، الذي بيده ملكوت السموات والأرض، من هنا جاء في المأثور من أسماء الله الحسنى: (الوالي، الولي، الوكيل، الحبيب، الصمد، الفتاح، المجيب).

35 - الوالي

معنى الوالي: مأخوذ من الولاية، وهي الملك للأشياء، والتصرف فيها بحسب المشيئة، ومالك الشيء يدافع عنه وينصره، فالله هو الوالي لنا، أي: مالِكنا والمُتصَرِّف بتدبير أمورنا، وإذا استنصرناه مؤمنين به مخلصين له، مدافعين عن دينه، نصرنا وأيدنا، ومن عرف أن الله تعالى هو الوالي الحق، اكتفى بولايته ونصره، وسكن إليه في جميع أحواله ومهماته. قال الله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ

بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ [الرعد: 11]، كما وَرَدَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ الْجَامِعِ لِأَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَمْنِي، الَّذِي أَخْرَجَهُ الْإِمَامَانِ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ، وَهُوَ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ.

أقوال أئمة اللغة

قال أبو عبيد: الولي: القرب. وقال الزجاج في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٦﴾ [الأنفال: 72/8] يُقْرَأُ ﴿وَلَايَتِهِمْ﴾ و﴿وَلَايَتِهِمْ﴾ بفتح الواو وكسرهما، فَسُنَّ فَتَحَهَا جَعَلَهَا مِنَ النَّصْرَةِ وَالنَّسَبِ، قَالَ: وَالْوَلَايَةُ الَّتِي بِمَنْزِلَةِ الْإِمَارَةِ مَكْسُورَةٌ، قَالَ: وَالْوَلَايَةُ عَلَى الْإِيمَانِ وَاجِبَةٌ، الْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ. نَقُولُ: وَلِيُّ بَيْنَ الْوَلَايَةِ، وَوَالٍ بَيْنَ الْوَلَايَةِ). انتهى كلام الزجاج. وقال الأزهري: تَوَلَّيْتُ فَلَانًا: اتَّبَعْتُهُ وَرَضَيْتُ بِهِ، وَالتَّوَلَّيْتُ مُصَدَّرٌ، كَقَوْلِكَ: وَتَوَلَّيْتُ فَلَانًا عَمَلٌ نَاجِحَتُهُ: إِذَا قَلَّدْتَهُ وَوَلَّيْتَهُ. وَالتَّوَلَّى بِكَوْنٍ بِمَعْنَى: الْإِعْرَاضِ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى: الْإِنْبَاعِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هَاتِئِنَّ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِشَيْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: 38] أَي: تُعْرَضُوا عَنِ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿يَتَّيَّبُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: 23]، معناه: يَتَّبِعُهُمْ وَيَنْصُرُهُمْ، وَالْمُؤَالَاةُ: الْمُتَابَعَةُ.

أقوال العلماء

قال الإمام الغزالي في كتابه «المقصد الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»: (الوالي هو الذي دبر أمور الخلق ووليها، أي: تولاها، وكان مليًا بولايتها).

وكان الولاية تُشعرُ بالتدبير والقُدرة والفعل، وما لم يَجتمع جميع ذلك له لم يُطلق اسمُ الوالي عليه، ولا والي للأُمور إلا اللهُ تعالى، فإنه المُنفردُ بتدبيرها أولاً والمُتكفلُ والمُنقذُ للتدبير بالتحقيق ثانياً، والقائمُ عليها بالإدامة والإبقاء ثالثاً).

وقال الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري الشافعي في كتابه «النهاية في غريب الحديث والأثر» في تفسير هذا الاسم: (الوالي: هو مالك الأشياء جميعها المُتصرف فيها، وكان الولاية تُشعرُ بالتدبير والقُدرة والفعل، وما لم يَجتمع ذلك فيها لم يُنطقُ عليه اسمُ الوالي. وكلُّ مَنْ وليّ أمراً أو قامَ به فهو مَوْلَاهُ وَوَلِيُّهُ، وقد تختلفُ مصادرُ هذه الأسماء؛ فالولاية - بالفتح - في النَسبِ والنُصرة، والولاية - بالكسر - في الإمارة. والولاءُ المُعتق والمُؤالاةُ مِنَ وَالِي الْقَوْمِ. ومنه الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ». قال الشافعي ؑ: يعني: بذلك ولاءُ الإسلام، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكُفْرَانَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [١١] وقال عمر لعليّ ؑ بعد قول الرسول ﷺ: «أَصْبَحْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ» أي: وليّ كل مؤمن. وقيل: سبب الحديث أن أسامة مولى النبي ﷺ قال لعليّ وقد أمره بشيء: «لَسْتُ مَوْلَايَ فَتَأْمُرْنِي، إِنَّمَا مَوْلَايَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»، فقال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ».

ومنه الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والدارمي: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحْتَ بِغَيْرِ إِذْنِ مَوْلَاهَا فَنَكَاحُهَا بَاطِلٌ». وفي رواية «وَلِيُّهَا» أي: مُتَوَلَّى أمرها كأبيها ونحوه. ومنه الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه: «مَرْيَتَةٌ وَجْهَيْتُهُ وَأَسْلَمٌ وَغَفَارٌ مَوَالِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ».

أثره على العبد

فمن عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاهُ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَفَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَيْهِ، وَاسْتَعَانَ بِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَاسْتَمَدَّ مِنْهُ الْعَوْنَ وَالنُّصْرَةَ، وَلَمْ يَعْتَمِدْ عَلَى أَحَدٍ سِوَاهُ، وَوَالَى أَوْلِيَاءَهُ، وَعَادَى أَعْدَاءَهُ وَأَحَبَّ مَنْ يُحِبُّهُ، وَأَبْغَضَ مَنْ يُبْغِضُهُ.

36 - الولي

معناه

الْوَلِيُّ: مأخوذٌ من الوِلايَةِ أيضاً، ولكنه أبلغ من الوالي، فمعنى كونِ اللّهِ وَتِيًّا: أي: أنه الْمُتَكَفَّلُ بِأُمُورِ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا، وَالنَّاصِرُ لِأَوْلِيَائِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ؛ لِأَنَّهُ يَتَرَأَّسُ لَهُمْ بِتَأْيِيدِهِ وَنَصْرِهِ. وَمَنْ عَرَفَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَتَّخِذْ وَلِيًّا غَيْرَهُ، وَإِنَّمَا يُرْجِعُ أَمْرَهُ كُلَّهُ إِلَيْهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَمِرٌ اتَّخَذُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ أَوْلِيَاءَ فَأَلَّفَهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: 9]. وقد ورد في القرآن الكريم في (38) موضعاً، كما جاء في حديث أبي هريرة الجامع لأسماء الله الحمى الذي أخرجه الترمذي.

أثرال العلماء في تفسيره

قال حُجَّةُ الْإِسْلَامِ الإمام أبو حامد الغزالي الشافعي في كتابه «المفصّد الأسنى في شرح أسماء الله الحمى» في تفسير هذا الاسم: (الولي: هو المحبّ الناصر، ومعنى وُدّه ومحبّته قد سبق. ومعنى نُصْرَتِهِ ظاهر، فإنه يقمع أعداء الدين ويُنصّر أوليائه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: 257] وقال: ﴿ذَلِكَ يَأْنِ اللَّهُ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكُفْرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: 11] أي: لا ناصر لهم وقال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: 21].

الولي من العباد من يحبّ الله، ويحبّ أوليائه، وينصّره، وينصّر أوليائه ويعادي أعداءه، ومن أعدائه: النَّفْسُ، وَالشَّيْطَانُ، فَمَنْ خَذَلَهُمَا، وَنَصَرَ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى، وَوَالَى أَوْلِيَاءَ اللَّهِ، وَعَادَى أَعْدَاءَهُ فَهُوَ الْوَلِيُّ مِنَ الْعِبَادِ). انتهى كلام الغزالي.

وقال الإمام مجدّ الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري الشافعي في كتابه «النهاية في غريب الحديث» في تفسير هذا الاسم: (الولي: هو الناصر، وقيل: المتولّي لأُمُورِ الْعَالَمِ وَالْخَلَائِقِ، الْقَائِمُ بِهَا. وقد تكرر ذكر المتولّي في الحديث، وهو اسم يقع على جماعة كثيرة: فهو الرّب، والمالك،

وَالسَّيِّدُ، وَالْمُنْعِمُ، وَالْمُعْتِقُ، وَالنَّاصِرُ، وَالْمُحِبُّ، وَالتَّابِعُ، وَالجَارُ، وَابْنُ الْعَمِّ، وَالحَايِفُ، وَالعَقِيدُ، وَالصَّهْرُ، وَالعَبْدُ، وَالمُعْتِقُ، وَالمُنْعَمُ عَلَيْهِ. وَأكثرها قد جاءت في الحديث، فَيُضَافُ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا يَقْتَضِيهِ الحَدِيثُ الوَارِدُ فِيهِ. وَكُلُّ مَنْ وَلِيَ أَمْرًا أَوْ قَامَ بِهِ فَهُوَ مَوْلَاهُ وَوَلِيُّهُ. وَمِنَ الحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَالدَّارِمِيُّ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحْتَ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ» أَي: مُتَوَلَّى أَمْرَهَا).

أقوال المفسرين

يقول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: 256، 257] يقول تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أَي: لَا تَكْرَهُوا أَحَدًا عَلَى الدُّخُولِ فِي دِينِ الإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ بَيِّنٌ وَاضِحٌ جَلِيٌّ دَلِيلُهُ وَبِرَاهِيْنُهُ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُكْرَهَ أَحَدٌ عَلَى الدُّخُولِ فِيهِ، بَلْ مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ للإِسْلَامِ وَشَرَحَ صَدْرَهُ وَنَوَّرَ بَصِيرَتَهُ دَخَلَ فِيهِ عَلَى بَيِّنَةٍ، وَمَنْ أَعْمَى اللَّهُ قَلْبَهُ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَقْبِذُهُ الدُّخُولُ فِي الدِّينِ مُكْرَهًا مَقْسُورًا.

وقوله: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أَي: مَنْ خَلَعَ عِبَادَةَ غَيْرِ اللَّهِ مِنَ الأَنْدَادِ وَالأَوْثَانِ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ مِنْ عِبَادَةِ كُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَوَحَدَ اللَّهُ، فَعَبَدَهُ وَوَحَدَهُ وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ أَي: فَقَدِ ثَبَّتَ فِي أَمْرِهِ وَاسْتَقَامَ عَلَى الطَّرِيقَةِ المُثَلَّى، وَالصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ. أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابُو القَاسِمِ البَغْوِيُّ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ؓ قَالَ: إِنَّ ﴿الْحَبِيبَ﴾: السُّحْرُ وَ﴿الطَّاغُوتِ﴾: الشَّيْطَانُ. وَمَعْنَى قَوْلِهِ فِي ﴿الطَّاغُوتِ﴾ إِنَّهُ الشَّيْطَانُ قَوِيٌّ جَدًّا، فَإِنَّهُ يَشْمَلُ كُلَّ شَرٍّ كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ؛ مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَالتَّحَاكُمِ إِلَيْهَا، وَالاسْتِنَارِ بِهَا.

وقوله ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ أَي: فَقَدِ اسْتَمْسَكَ مِنَ الدِّينِ بِأَقْوَى سَبَبٍ، وَشَبَّهَ ذَلِكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى - أَي: عُقْدَةِ الحَبْلِ - الَّتِي لَا تَنْفَصِمُ

هي في نفسها مُحَكَمَةٌ مُبْرَمَةٌ قَوِيَّةٌ، وربطها قَوِيًّا شَدِيدًا، ولهذا قال: ﴿فَقَدِرَ
 اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ قال مُجَاهِدٌ: ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ يعني:
 الإيمان. وقال السُّدِّيُّ: هو الإسلام. وقال سعيد بن جُبَيْرٍ والضَّحَّاكُ: يعني لا إله
 إلا اللهُ، وعن أنس بن مالك: ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ القرآن. وقال معاذ بن جبل: في
 قوه ﴿لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ دونَ دُخُولِ الْجَنَّةِ.

ثم قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ
 أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يُخْبِرُ تعالى أنه: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ
 رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ فَيُخْرِجُ عباده المؤمنين من ظُلمَاتِ الكُفْرِ والشُّكِّ والرَّيْبِ
 إلى نورِ الحَقِّ الواضِحِ الجليِّ المبين، السهل المنير، وأن الكافرين إنما وليُّهم
 الشيطان يُرِيْنُ لهم ما هم فيه من الجهالات والضلالات، ويخرجونهم ويحبِّدون
 بهم عن طريقِ الحَقِّ إلى الكفر والإفك ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾
 ولهذا وحَّد اللهُ تعالى لفظَ النور، وجمَعَ الظُّلُمَاتِ؛ لأن الحَقَّ واحدٌ والكُفْرُ
 أجاسٌ كثيرة، وكلُّها باطلةٌ، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ
 وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153]
 ومعنى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: ناصرُهُم ومُحِبُّهُم
 ومُحِبِّهِم ومُعِينُهُم، فهو وليُّهم حينما أَوْضَحَ لهم الأدلَّةَ على الإيمان ولم يتركهم
 يبحثون عنها، وهو وليُّهم عندما آمَنُوا، والاهم بالمَعُونَةِ، وحينما يجاهدون في
 سبيله يكون معهم بنصره، وتستمر ولايته لهم إلى أن يموتوا فيرحمهم في
 قبورهم، ويخفف عنهم يومَ الموقفِ والحِسابِ والجزاءِ في الآخرة، إذن فهو وليُّ
 المؤمنين في جميع المراحل التي يمرُّون بها، فولايته لا تنقطع ولا تنتهي.

ولاء المسلم

تعريف الرلاء

قال الإمام الأزهري: تَوَلَّيْتُ فُلَانًا: أي: تَبِعْتُهُ وَرَضَيْتُ بِهِ، والتَوَلَّى: أي:
 الاتَّبَعَ والنُّصِرَةَ والمُتَابَعَةَ.

لمن يكرت دلاء المسلم؟

المسلم مأمور بموالاته الله ورسوله والمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: 257]، وقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: 55]، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 71].

وقد نهى الله عباده المؤمنين أن يتولوا غير الله ورسوله والمؤمنين، قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 3]، وقال: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 28] وقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَن يُجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: 144]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْفُوتَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَآيَاتِي مَرْضَاتِي لَسُرُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المنحة: 1].

الانتماء لأمّة الإسلام

لقد أرسل الله نبيه محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق وهو: الإسلام لكي يبني أمة، بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، فجاهد ﷺ طيلة أربعة وعشرين عاماً لهذا الهدف، واستطاع خلال هذه المدة أن يبني أمة متكاملة، لها عقيدة خاصة، ولها شريعة ربانية متكاملة لجميع شؤون الحياة، ولها سلوك خاص متميز، ولها عبادات متميزة، ولها أخلاق متميزة عن غيرها من الأمم، وقد امتدح الله تعالى في محكم كتابه الكريم هذه الأمة فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110]. وقد سادت هذه الأمة الدنيا وانتصرت على قوى الباطل والكفر والشرك، وحكمت الدنيا زهاء ثلاثة عشر قرناً من الزمن، كانت خلالها أمة قوية متماسكة، كان فيها ولاء المؤمن الفرد

لِلَّهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِلْخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِهِ، وَإِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَانَ كُلُّ مُسْلِمٍ يَشْعُرُ بِانْتِمَائِهِ لِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ، وَيَفْخَرُ بِهَذَا الْانْتِمَاءِ، وَيَرْتَبِطُ بِرِبَاطِ الطَّاعَةِ وَالْوَلَاءِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِخَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَبِرِبَاطِ الْأَخُوَّةِ وَالْوَلَاءِ لِإِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: 59]، وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]. وَكَانَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ تَحْمِلُ دَوْرًا مَهْمًا فِي الْأَرْضِ أَنْاطَهُ اللَّهُ بِهَا، وَكَانَتْ بِحَمْلِهِ، وَهُوَ هِدَايَةُ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى رَبِّهَا وَتَطْبِيقُ شَرَعِهِ، وَتَحْمِلُ رِسَالَةَ الْإِسْلَامِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً.

ازالة دولة الإسلام

ظَلَّتْ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ طَوَالَ ثَلَاثَةِ عَشْرٍ قَرْنًا مِنَ الزَّمَنِ، كَانَتْ خِلَالَهَا تَغِيظُ أَعْدَاءَهَا الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِهَا الدَّوَائِرَ، وَيَتَنَظَّرُونَ الْفُرْصَةَ الْمُؤْتِمَةَ لِضَعْفِهَا وَالانْقِضَاضَ عَلَيْهَا، وَإِزَالَتَهَا مِنَ الْوُجُودِ، وَمَا إِنْ حَلَّ الْقَرْنُ الْعِشْرِينَ حَتَّى انْقَضَ هُوَلَاءُ الْأَعْدَاءِ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَأَزَالُوا دَوْلَتَهَا السِّيَاسِيَّةَ الْحَاكِمَةَ بِشَرَعِ اللَّهِ وَالْمُطَبَّقَةَ لَهُ مِنَ الْوُجُودِ، وَعَقَدُوا مُؤْتَمَرَ «سَايَكْس بِيكُو» الَّذِي تَقَاسَمُوا فِيهِ دَوْلَ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِي، وَدَخَلُوهُ بِجِيُوشِهِمُ الْعَسْكَرِيَّةَ الْمُسَلَّحَةَ، وَأَعْطَوْا الْيَهُودَ وَعَدَا يُاقَامَةَ دَوْلَةٍ لَهُمْ فِي فِلَسْطِينَ هُو: «وَعَد بِلْفُور»، وَهَكَذَا انْتَهَى دَوْرُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى السَّاحَةِ الْعَالَمِيَّةِ، وَأُزِيلَتْ دَوْلَتُهُمْ مِنَ الْوُجُودِ، وَتَعَطَّلَتْ شَرِيعَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، وَقَامَتْ دَوْلَةُ الْيَهُودِ فِي فِلَسْطِينَ، وَنَصَبَ هُوَلَاءُ الْمُسْتَعْمِرُونَ فِي كُلِّ بِلَدٍ إِسْلَامِي حُكَّامًا مُوَالِينَ لَهُمْ، وَحُكُومَاتٍ عِلْمَانِيَّةَ، لَمْ تَتَرَبَّ تَرْبِيَّةً إِسْلَامِيَّةً صَالِحَةً، وَإِنَّمَا تَرَبَّتْ عَلَى أَيْدِيهِمْ، وَفِي مَدَارِسِهِمْ وَمِحَافِلِهِمْ، وَلَا تَمَّتْ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ بَصْلَةٌ، وَإِنَّمَا وَلَاؤُهَا لِأَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، لَا يَشْعُرُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ عَضْوٌ فِي الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُنْفَكَّةِ، بَلْ يَفْخَرُ بِكَوْنِهِ عَضْوًا فِي الْمِحَافِلِ الْمَحَلِّيَّةِ وَالدُّوَلِيَّةِ، يَأْتَمِرُ بِأَمْرِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَيُنْهِي بِنَهْيِهِمْ، أَعْطَاهُمُ الْوَلَاءَ كَامِلًا، وَانْسَلَخَ مِنْ دِينِهِ وَأُمَّتِهِ، وَأَصْبَحَ أَدَاةً طَيِّعَةً بِأَيْدِيهِمْ.

العمل على تفريب الإسلام

بعد القضاء على دولة الإسلام السياسية الجامعة لشعوب العالم الإسلامي،

بقيت الشعوب الإسلامية المفككة المتفرقة التي لا يجمع شملها دولة تُشكّل عَقَبَةً كبيرة في وجه مخططاتهم ومؤامراتهم، فعملوا على حرب الإسلام وإبعاد أهله عنه، وجعلهم أناساً لا دينيين، علمانيين، وذلك بتشكيكهم بدينهم، وضرب ولائهم له في نفوسهم، وزرعوا في أذهانهم عبر وسائل الإعلام، ومناهج التعليم، وعبر الجمعيات والأحزاب والمحافل التي أوجدوها فيما بينهم، أن الإسلام هو سبب تأخر المسلمين عن ركب الحضارة، وأن السبيل الوحيد لنهضة الشعوب الإسلامية هو بترك هذا الدين، والأخذ بالحضارة الغربية، وتقليد الغرب بتركه للدين وأخذه بالعلمانية، ووصفوا الإسلام بالرجعية والتأخر، وأنه أفيون الشعوب، وقام بترويج هذه الأفكار بين المسلمين جيوشٌ من العلمانيين المستغربين الذي تربّوا على أيدي أعداء الإسلام، وفي مدارسهم ومحافلهم، وجمعياتهم السريّة والعلنية، وأحزابهم السياسية والاجتماعية، أعطوا هؤلاء الأعداء ولاءهم الكامل، وناصبوا الإسلام وأهله العداوة المريرة، وتسمّوا بالبنائين تارة، وبالْمُضْلِحِينَ تارة أخرى، وبالْمُتَنَوِّرِينَ، والتَقَدُّمِيِّين، والمُتَحَرِّرِينَ، والعقلانيين، وما إلى ذلك من الألقاب البرّاقة التي ظاهرها البناء، وباطنها الهدم، واستخدم أعداء الإسلام هؤلاء «المُتَغَرِّبِينَ» كمعاولٍ هُدمَ لتهديم أمة الإسلام، وإزالة الحضارة الإسلامية نهائياً من الوجود كما قال الله تعالى: ﴿رَبُّيُونِ يَظِفُونَا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف: 8]، ولكن هؤلاء نسوا أن هذا الدين دين الله، وأنهم أعلنوا حربهم على الله، وأن الله حافظ دينه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: 9]، فهل سيعود هؤلاء إلى رشديهم ويتوبون إلى ربهم قبل فوات الأوان ويعلمون أن العَلْبَةَ في النهاية لله رب العالمين؟ ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 21].

37 - الوكيل

معناه

أي: القائم بأمور عباده، وبتحصيل ما يحتاجون إليه، مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ اسْتَعْتَى بِهِ أَغْنَاهُ عَمَّا سِوَاهُ. وَمَنْ عَرَفَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْوَكِيلُ الْحَقُّ فِي تَدْبِيرِ مَا

غَابَ عَنِ عِبَادِهِ، وَمَا حَضَرَ لَدَيْهِمْ مِنْ أَمْرٍ، اِكْتَفَى بِالْتِجَاءِ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَتَوَكَّلْ إِلَّا عَلَيْهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: 23]. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى، فِي حِكَايَةِ قَوْلِ الصَّالِحِينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: 173] وَقَالَ أَيْضًا: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء: 65].

أقوال العلماء في تفسيره

يقول حُجَّةُ الْإِسْلَامِ الْإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ الْغَزَالِيِّ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ «الْمَقْصِدُ الْأَسْنَى فِي شَرْحِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى» فِي تَفْسِيرِ اسْمِ اللَّهِ الْوَكِيلِ: (هُوَ الْمَوْكُولُ إِلَيْهِ الْأُمُورُ؛ لَكِنِ الْمَوْكُولُ إِلَيْهِ يَنْقَسِمُ إِلَى: مَنْ يُوَكَّلُ إِلَيْهِ بَعْضُ الْأُمُورِ، وَذَلِكَ نَاقِصٌ، وَمَنْ وُكِّلَ إِلَيْهِ الْكُلُّ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى.

وَالْمَوْكُولُ إِلَيْهِ يَنْقَسِمُ إِلَى: مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ مَوْكُولًا إِلَيْهِ لَا بِذَاتِهِ، وَلَكِنِ بِالتَّوَكُّلِ وَالتَّفْوِضِ. وَهَذَا نَاقِصٌ؛ لِأَنَّهُ فَاقِرٌ إِلَى التَّفْوِضِ وَالتَّوَلِيَةِ. وَمَنْ يَسْتَحِقُّ بِذَاتِهِ أَنْ تَكُونَ الْأُمُورُ مَوْكُولَةً إِلَيْهِ، وَالْقَلْبُوبُ مُتَوَكِّلَةٌ عَلَيْهِ إِلَّا بِتَّوَلِيَةٍ، وَتَفْوِضٍ مِنْ جِهَةِ غَيْرِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْوَكِيلُ الْمَطْلُوقُ.

وَالْوَكِيلُ أَيْضًا يَنْقَسِمُ إِلَى: مَنْ يَفِي بِمَا يُوَكَّلُ إِلَيْهِ وَفَاءً تَامًا مِنْ غَيْرِ قُصُورٍ، وَمَنْ لَا يَفِي بِالْجَمِيعِ، وَالْوَكِيلُ الْمَطْلُوقُ هُوَ الَّذِي الْأُمُورُ مَوْكُولَةٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ مَلِيٌّ بِالْقِيَامِ بِهَا، وَفِي بَاتِمَامِهَا، وَذَلِكَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى فَقَطْ). انْتَهَى كَلَامُ الْغَزَالِيِّ.

وَيَقُولُ الْإِمَامُ اللَّغَوِيُّ مَجْدُ الدِّينِ أَبُو السَّعَادَاتِ الْمُبَارَكُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَثِيرِ الْجَزِيرِيِّ الشَّافِعِيُّ فِي كِتَابِهِ: «النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ» فِي تَفْسِيرِ اسْمِ اللَّهِ الْوَكِيلِ: (هُوَ: الْقِيمُ الْكَفِيلُ بِأَرْزَاقِ الْعِبَادِ، وَحَقِيقَتُهُ أَنَّهُ يَسْتَقِيلُ بِأَمْرِ الْمَوْكُولِ إِلَيْهِ، وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ التَّوَكُّلِ فِي الْحَدِيثِ، يُقَالُ: تَوَكَّلْ بِالْأَمْرِ: إِذَا ضَمِنَ الْقِيَامَ بِهِ، وَوَكَّلْتُ أَمْرِي إِلَى فُلَانٍ: أَي: أَلْجَأْتُهُ إِلَيْهِ وَاعْتَمَدْتُ فِيهِ عَلَيْهِ، وَوَكَّلَ فُلَانٌ فُلَانًا

إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته، أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه .

ومنه حديث الدعاء: «لا تكلني إلى نفسي طرفه عين فأهلك» .

ومنه الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: «من توكل بما بين لحيته ورجليه توكلت له بالجنة» وقيل: هو بمعنى تكفل .

وفيه: «أنه نهى عن المواكلة» قيل: هو من الاتكال في الأمور، وأن يتكفل كل واحدٍ منهما على الآخر، يُقال: رجلٌ وُكِّلَ، إذا كثر منه الاتكال على غيره، فنهى عنه، لما فيه من التنافر والتقاطع، وأن يكفل صاحبه إلى نفسه، ولا يعينه فيما ينوبه .

أثر هذا الاسم على العبد: (التوكل على الله)

التوكل هو طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى الكفاية، فإن أعطي المتوكل شكر، وإن منع صبر . وعرفه ذو النون المصري فقال: التوكل: ترك تدبير النفس، والانخلاع من الحول والقوة، بأن لا يرى المتوكل لأحد حيلة ولا قوة إلا بالله .

التوكل في القرآن

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالتوكل على الله فقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَيَحْيِي بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا ۝٥٨﴾ [الفرقان: 58]. كما أمر عباده المؤمنين بالتوكل على الله فقال: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ [التوبة: 51]، وقال: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝٢٣﴾ [المائدة: 23] وبين أن من يتوكل على الله كفاه أمره وحقق غايته ورغبته فقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۝﴾ [الطلاق: 2]. وأمر عباده بتفويض جميع أمورهم لمن هو قادر على تحقيقها ومن بيده ملكوت السموات والأرض، ومن هو بصير بالعباد، عالم بأحوالهم، قال تعالى:

﴿فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾

[عافر: 44].

التوكلُ في السُّنة

أخرج الإمام أحمد في «مسنده» والنسائي، والترمذي في سننهما، والحاكم في «المستدرک»، وصححه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يقول: «لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقْكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا - أي: خاوية البطون - وتروحُ بِطَانًا - أي: ترجع إلى أوكارها آخر النهار صمطة البضون» وأخرج الطبراني في «المعجم الكبير» وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» والحاكم في «المستدرک على الصحيحين» عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ». وأخرج الطبراني في «معجمه الكبير»، والبيهقي في «سننه» وصححه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل بأهله الضيق أمرهم بالصلاة، ثم قرأ هذه الآية يعني: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا مِّنْ رِّزْقِكَ وَالْعَفْيفُ لِلْفَقِيرِ﴾ [طه: 132]. وأخرج أحمد في «الزهد» وابن أبي حاتم في «تفسيره»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ثابت قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أصابت أهله خصاصة نادى أهله بالصلاة: «صَلُّوا صَلُّوا» قال ثابت: كانت الأنبياء إذا نزل بهم أمرٌ فزَعُوا إلى الصلاة. وأخرج الشيخان البخاري ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم لما ذكر الذين يدخلون الجنة بغير حساب قيل له: مَنْ هُمْ يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: «هُمْ الَّذِينَ لَا يَزُقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتُمُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» يعني: هم الذين كمل إيمانهم ولم يبق فيهم شيء من أمور الجاهلية كالرقى والاسترقاء، وهو التعويد بما فيه من الشرك، وكالتشاؤم بالطير أو غيره، وكإفراط الاعتقاد في الكي.

فالتوكل من لوازم كمال الإيمان؛ لأنه الاعتماد على الخالق دون رؤية الخلاق، فَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ كَفَاهُ، وَمَنْ انْقَطَعَ إِلَيْهِ آوَاهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: 36]. أوحى الله إلى نبيه داود عليه السلام: «يا داود من دعاني أجبتُه، ومن استغاثني أغثته، ومن استنصرني نصرتُه، ومن توكل علي كفيته».

38 — الحسيب

معناه

الْحَيْبُ: من الْحَسْبِ، وهو الاكتفاء، فيكون معنى اسم الله الحيب أي: الكافي، فَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ، ولا يوجد كافي في الحقيقة إلا الله تعالى. وهذا المعنى هو أحد معاني هذا الاسم، وقد يأتي بمعنى: العليم بالأعداد والحساب. قال الله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَيْبًا﴾ [النساء: 6].

أقوال العلماء في تفسيره

يقول الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الشافعي رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «الْمَقْصِدُ الْأَسْنَى فِي شَرْحِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنَى» فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْأَسْمَاءِ: (الْحَيْبُ: هُوَ الْكَافِي، وَهُوَ الَّذِي مَنْ كَانَ لَهُ كَانَ حَسْبُهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى حَيْبٌ كُلِّ أَحَدٍ وَكَافِيهِ.

وهذا وَصْفٌ لَا يُتَصَوَّرُ حَقِيقَتَهُ لغيره، فإن الكفاية إنما يحتاج إليها المَكْفِي لوجوده، ولدوام وجوده، ولكمال وجوده. وليس في الوجود شيء هو وَحْدَهُ كافي لشيء إلا الله تعالى، فإنه وَحْدَهُ كافي كُلِّ شيء، لا ليعض الأشياء، أي: هو وَحْدَهُ كافٍ يَتَحَصَّلُ بِهِ وجودُ الأشياء، ويدومُ به وجودها، ويكملُ به وجودها.

ولا تَطُنُّنٌ أَنْكَ إِذَا احْتَجَّتْ إِلَى طَعَامٍ، وَشَرَابٍ، وَأَرْضٍ، وَسَمَاءٍ، وَشَمْسٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَقَدْ احْتَجَّتْ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَمْ يَكُنْ هُوَ حَسْبُكَ، فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي كَفَاكَ بِخَلْقِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، فَهُوَ حَسْبُكَ.

ولا تَطُنُّنٌ أَنَّ الطِّفْلَ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى أُمِّهِ تَرْضِعُهُ وَتَتَعَهَّدُهُ، فَلَيْسَ اللَّهُ حَسْبِيهِ وَكَافِيهِ، بَلِ اللَّهُ كَفَاهُ إِذْ خَلَقَ أُمَّهُ، وَخَلَقَ اللَّبْنَ فِي ثَدْيِهَا، وَخَلَقَ لَهُ الْهِدَايَةَ إِلَى التَّقَامِ، وَخَلَقَ الشَّفَقَةَ وَالْمَوَدَّةَ فِي قَلْبِ الْأُمِّ حَتَّى مَكَّنَتْهُ مِنَ الْإِلْتِقَامِ، وَدَعَتْهُ إِلَيْهِ وَحَمَلَتْهُ عَلَيْهِ. فَالْكَفَايَةُ إِنَّمَا حَصَلَتْ بِهَذِهِ الْأَسْبَابِ، وَاللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الْمُتَقَرِّدُ بِخَلْقِهَا لِأَجْلِهِ.

ولو قيلَ لَكَ: إِنَّ الْأُمَّ وَحْدَهَا كَافِيَةٌ لِلطِّفْلِ، وَهِيَ حَسْبُهُ، لَصَدَّقْتَ بِهِ وَلَمْ

تَقُلْ: إنها لا تكفيه؛ لأنه يَحْتَاجُ إلى اللَّبَنِ، فَمِنْ أَيْنَ تَكْفِيهِ إِذَا لَمْ يَكُن لَبَنٌ؟
ولكنَّكَ تقول: نَعَمْ يَحْتَاجُ إلى اللَّبَنِ، ولكنَّ اللَّبَنَ أَيْضاً مِنَ الأُمِّ فليسَ مُحْتَاجاً إلى
غَيْرِ الأُمِّ، فاعلم أن اللَّبَنَ لَيْسَ مِنَ الأُمِّ، بَلْ هُوَ مِنَ الأُمِّ مِنَ اللّهِ وَمِنْ فَضْلِهِ وَجُودِهِ.

فَهُوَ وَحْدَهُ حَسِيبُ كُلِّ أَحَدٍ، وَلَيْسَ فِي الوجودِ شَيْءٌ وَحْدَهُ هُوَ حَسِيبُ
شَيْءٍ سِوَاهُ، بَلِ الأَشْيَاءُ تَتَعَلَّقُ بِبَعْضِهَا بِبَعْضٍ، وَكُلُّهَا تَتَعَلَّقُ بِقُدْرَةِ اللّهِ تَعَالَى.

ليس للعبد مدخل في هذا الوصف إلا بنوع من المجاز بعيد، وبالإضافة إلى
باديء الرأي: وسابق الظن العامي.

أما كونه مجازاً: فهو أنه إن كان كافياً لطفله في القيام بتعهده، أو لتلميذه
في تعليمه حتى لم يفتقر إلى الاستعانة بغيره، كان واسطة في الكفاية ولم يكن
كافياً؛ لأن الله تعالى هو الكافي، إذ لا قوام له بنفسه، ولا كفاية له بنفسه، فكيف
يكون هو كفاية غيره؟

وأما كونه بالإضافة إلى سابق الظن. فهو أنه وإن قُدِّرَ أَنَّهُ مُسْتَقِلٌّ بِالكِفَايَةِ،
وليس بواسيطة، فهو وحده لا يكفي إذ يحتاج إلى محل قابل لفعله وكفايته، هذا
أقل الأمور. فالقلب الذي هو محل العلم، لا بد منه أولاً ليكون هو كافياً في
التعيم. والمعدة التي هي مستقر الطعام، لا بد منها ليكون هو كافياً بإيصال
الطعام إلى بدنه، هذا مع ما يحتاج إليه من أمور كثيرة لا يحصيها ولا يدخل شيء
منها في اختياره. وأقل درجات الفعل حاجته إلى فاعل وقابل، فالفاعل لا يكون
دون القابل أصلاً، وإنما صح هذا في حق الله تعالى؛ لأنه خالق الفعل، وخالق
المحل القابل، وخالق شرائط قبوله وما يكتنفه.

ولكن باديء الرأي: ربّما سبق إلى الفاعل، ويخطر بالبال غيرُه، فيُنظَرُ أنَّ
الفاعل حسبُه وحده وليس كذلك.

نعم الحظ الذي منه للعبد أن يكون الله وحده حسبه بالإضافة إلى همته
وإرادته، وهو أنه لا يريد إلا الله، ولا يريد إلا الجنة، ولا يشغل قلبه بالنار
ليحذر منها بل يكون مستغرق الهم بالله وحده. وإذا كاشفه بجلاله قال: ذلك
حسبي، فلست أريد غيره ولا أبالي. انتهى ما ذكره الغزالي.

ويقول الإمام مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير الجزري الشافعي رحمته الله في كتابه «النهاية في غريب الحديث والأثر» في شرح هذا الاسم: (الْحَيْبُ: هو الكافي، فعيلٌ بِمَعْنَى: مُفْعِلٌ، مِنْ أَحْبَبَنِي الشَّيْءُ إِذَا كَفَانِي، وَأَحَبَّهُ وَحَبَّبَهُ - بالتشديد - أَعْطَيْتُهُ مَا يُرْضِيهِ حَتَّى يَقُولَ حَسْبِي - أي: اكتفيت - ومنه حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ» أي: كِفَايَتِكَ أَوْ كَافِيكَ، وَقَدْ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْحَسَنَةَ بَعِثَةَ أَمْثَالِهَا، فَمَنْ صَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ فَكَأَنَّهُ صَامَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا وَهُوَ الشَّهْرُ كَامِلًا، وَمَنْ دَاوَمَ عَلَى ذَلِكَ كُلِّ شَهْرٍ، فَكَأَنَّهُ صَامَ دَهْرَهُ كُلَّهُ مِنْ حَيْثُ الْأَجْرُ وَالثَّوَابُ. وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي حَدِيثٍ آخَرَ أَنَّهُ أَوْصَى بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ أَوْسَطِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيٍّ هِلَالِيٍّ، وَهِيَ: الثَّلَاثُ عَشْرَ وَالرَّابِعَ عَشْرَ وَالخَامِسَ عَشْرَ، وَيَسْمِيهَا بَعْضُهُمْ: بِالْأَيَّامِ الْبَيْضِ؛ لِأَنَّ الْقَمَرَ يَكُونُ فِيهَا بَدْرًا مَكْتَمَلِ النُّورِ، وَقَدْ أُثْبِتَتْ دَرَاةٌ أَمْرِيكِيَّةٌ أَنَّ تَأْثِيرَ جَاذِبِيَّةِ الْقَمَرِ تَكُونُ قَوِيَّةً فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، وَيَنْتِجُ عَنْهَا الْمَدُّ فِي مِيَاهِ الْبَحَارِ وَالْأَنْهَارِ وَالْمُحِيطَاتِ، وَكَذَلِكَ فَإِنَّ لَهَا تَأْثِيرًا عَلَى ضَغْطِ الْإِنْسَانِ، حَيْثُ يَرْتَفِعُ وَتَزْدَادُ عَصِيَّتُهُ وَتَتَوَثَّرُ أَعْصَابُهُ، وَلِذَلِكَ فَقَدْ سَجَّلَ إِحْصَاءٌ فِي مَكَاتِبِ الْأَمْنِ الْأَمْرِيكِيِّ ارْتِفَاعَ نِسْبَةِ الْجَرَائِمِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ فِي جَمِيعِ الْوَلَايَاتِ الْأَمْرِيكِيَّةِ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الصِّيَامَ يُخَفِّفُ مِنْ غَلَوَاتِ الْإِنْسَانِ، وَيُهْدِيءُ أَعْصَابَهُ، فَقَدْ قَدَّمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِلْبَشَرِيَّةِ الدَّوَاءَ النَّافِعَ وَالْبَلْسَمَ الشَّافِي قَبْلَ أَرْبَعَةِ عَشْرَ قَرْنًا مِنَ الزَّمَنِ.

39 — الصمد

معناه

هو الذي يُصَمَّدُ إليه في الحوائج، أي يُقَصَّدُ فيها، إذ لا كافي في الحقيقة إلا هو، والرجوع إلى الله في كُلِّ أَمْرٍ إِنَّمَا يَكُونُ بِوَضْفِ أَنَّهُ سَبْحَانَهُ هُوَ الْوَهَّابُ بِقُدْرَتِهِ، وَالْمُدَبِّرُ بِحِكْمَتِهِ، وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ أَحَدُ مَعَانِي هَذَا الْإِسْمِ الْكَرِيمِ، وَمَنْ عَرَفَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الصَّمَدُ لَمْ يَرْجِعْ فِي كُلِّ أَمْرٍ لغيره، بَلْ كَانَ بِهِ غَنِيًّا، وَبِقَضَائِهِ رَضِيًّا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [الإخلاص: 1]،

أقوال المفهرين في تفسيره

أخرج الأزهرِيُّ في «تهذيب اللغة» عن الأعمش، عن أبي وائل أنه قال: (الصَّمَدُ: السَّيِّدُ الَّذِي قَدِ انْتَهَى سُؤْدُوهُ). قال الأزهرِيُّ: (أَمَّا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَلَا نِهَآيَةَ لِسُؤْدُودِهِ؛ لِأَن سُوْدُوْدَهُ غَيْرُ مَحْدُوْدٍ). وقال أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ: (الصَّمَدُ: الَّذِي يُصَمَّدُ إِلَيْهِ الْأَمْرُ فَلَا يُقْضَى دُونَهُ، وَهُوَ مِنَ الرِّجَالِ: الَّذِي لَيْسَ قُوَّةُ أَحَدٍ). وقال الحَسَنُ: (الصَّمَدُ: الدَّائِمُ) وقال مَيْسَرَةُ: (المُصَمَّدُ والمُصَمَّتُ: الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ). وقيل: الصَّمَدُ الَّذِي صَمَدَ إِلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ، أَي الَّذِي خَلَقَ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا، لَا يَسْتَعِينِي عَنْهُ شَيْءٌ، وَكُلُّهَا دَالٌّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ. وقيل: الصَّمَدُ: الدَّائِمُ الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ خَلْقِهِ. وَهَذِهِ الصِّفَاتُ كُلُّهَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ لِلَّهِ ﷻ: وَقَالَ اللَّيْثُ: (صَمَدْتُ صَمَدٌ هَذَا الْأَمْرُ: أَي قَصَدْتُ قَصْدَهُ وَاعْتَمَدْتَهُ). وقال أبو زيد: (إِنِّي عَلَى صَمَادَةٍ مِنْ أَمْرٍ: إِذَا أَشْرَفَ عَلَيْهِ وَحَفِظَ بِهِ). وقال الأصمعيُّ: (الصَّمَدُ: الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ الْغَلِيظُ، وَالْمُصَمَّدُ: الصُّلْبُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ خَدٌّ) وقال أبو عمرو بن العلاء: (الصَّمَدُ: الشَّدِيدُ مِنَ الْأَرْضِ). وقال أبو عبيدة: (الصَّمَدُ السَّيِّدُ الَّذِي يُصَمَّدُ إِلَيْهِ، لَيْسَ فَوْقَهُ أَحَدٌ فَعَلِيَ هَذَا هُوَ (فَعَلَ) بِمَعْنَى: (مَفْعُولٌ).

أقوال العلماء

يَقُولُ حَجَّةُ الْإِسْلَامِ الْإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْغَزَالِيُّ الشَّافِعِيُّ فِي كِتَابِهِ: «الْمَقْصِدُ الْأَسْتَى فِي شَرْحِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنِي» فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْاسْمِ: (الصَّمَدُ هُوَ الَّذِي يُصَمَّدُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ، وَيُقْصَدُ إِلَيْهِ فِي الرِّغَائِبِ، إِذْ يَنْتَهِي إِلَيْهِ مُنْتَهَى السُّؤْدُودِ، وَمَنْ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَقْصِدَ عِبَادِهِ فِي مُهِمَّاتِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَأَجْرَى عَلَى لِسَانِهِ وَيَدِهِ حَوَائِجَ خَلْقِهِ، فَقَدْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِحِظٍّ مِنْ مَعْنَى هَذَا الْوَصْفِ، لَكِنِ الصَّمَدُ الْمَطْلُوقُ هُوَ الَّذِي يُصَمَّدُ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ الْحَوَائِجِ، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى).

ويقول الإمام المحدث مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري الشافعي رحمته الله في كتابه: «النهاية في غريب الحديث» في تفسيره: (قال ابن مسعود: الصَّمَدُ هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ السُّؤْدُودُ. وقيل: هُوَ الدَّائِمُ الْبَاقِي، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ. وقيل: هُوَ الَّذِي يُصَمَّدُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ، أَي يُقْصَدُ. ومنه حديث معاذ بن الجُمُوحِ فِي قَتْلِ أَبِي جَهْلٍ: «فَصَمَدْتُ لَهُ حَتَّى

أَمْكَنِّي مِنْهُ غِرَّةً» أَي ثَبَّتْ لَهُ وَقْصَدْتُهُ وَانْتَظَرْتُ غَفْلَتَهُ» وَمِنْهُ حَدِيثُ عَلِيٍّ: «فَصَمَدًا صَمَدًا حَتَّى يَنْجَلِي لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ». قَالَ الْبَخَارِيُّ: وَالْعَرَبُ تُسَمِّي أَشْرَافَهَا الصَّمَدُ.

أثر هذا الاسم على الإنسان

إِنَّ مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ السَّيِّدُ الصَّمَدُ الَّذِي يُرْجَعُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ، فَإِنَّهُ يَلْجَأُ إِلَيْهِ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ، وَلَا يَلْجَأُ لِسِوَاهُ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَلَا يَعْتَمِدُ عَلَى أَحَدٍ سِوَاهُ، وَيُفَوِّضُ أُمُورَهُ لَهُ، وَلَا يَعُودُ يَرَى لِلْأَسْبَابِ تَأْثِيرًا، بَلْ يَعْلَمُ أَنَّ خَالِقَ الْخَلْقِ وَمَالِكُهُمْ وَمُوجِدَهُمْ مِنَ الْعَدَمِ، هُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَى تَحْقِيقِ مَرَادِهِ، وَهَذَا لَهُ أَثَرٌ بَالِغٌ عَلَى نَفْسِ الْإِنْسَانِ، يَتِمُّثَلُ بِالْطَّمَأْنِينَةِ وَالسَّكِينَةِ، وَالثِّقَةِ الْقَوِيَّةِ الْمَطْلُوقَةِ بِاللَّهِ وَالْأَمَلِ الْوَاسِعِ بِهِ، وَهُوَ قُوَّةٌ دَافِعَةٌ تَشْرَحُ الصَّدْرَ لِلْعَمَلِ، وَتَبْعَثُ النِّشَاطَ فِي الرُّوحِ وَالْبَدَنِ، وَتَدْفَعُ عَنِ النَّفْسِ الْيَأْسَ الَّذِي يُحَطِّمُ فِيهَا بَوَاعِثَ الْعَمَلِ، وَيُوْهِي فِي الْجَسَدِ دَوَاعِيَ الْقُوَّةِ وَالنِّشَاطِ.

إِنَّ الْمُؤْمِنَ بِاللَّهِ، هُوَ أَوْسَعُ النَّاسِ أَمَلًا، وَأَكْثَرُهُمْ تَفَاؤُلًا وَاسْتِبْشَارًا، وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ التَّشَاؤُمِ وَالتَّبَرُّمِ وَالتَّضَجُّرِ، ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَعْتَصِمُ بِرَبِّهِ، الْإِلَهِ الْبَرِّ الرَّحِيمِ، الْعَزِيزِ الْكَرِيمِ، الْغَفُورِ الْوَدُودِ، الْفِعَالِ لِمَا يُرِيدُ، يَجِدُ فِيهِ الْمَلَادَ فِي الشِّدَّةِ، وَالْأَيْسَ فِي الْوَحْشَةِ، وَالتَّصْيِرَ فِي الْقِلَّةِ، فَيَعِيشُ عَلَى أَمَلٍ لَا حَدَّ لَهُ، وَرَجَاءٍ لَا تَنْقِصُمْ غُرَاهُ، إِنَّهُ دَائِمًا مُتَفَائِلٌ مُسْتَبْشِرٌ، يَنْظُرُ إِلَى الْحَيَاةِ بِوَجْهِ ضَاحِكٍ، وَيَسْتَقْبِلُ أَحْدَاثَهَا بِثَغْرِ بَاسِمٍ، لَا بِوَجْهِ غَبُوسٍ قَمْطَرِيرٍ.

فَهُوَ إِذَا مَرَضَ لَمْ يَنْقَطِعْ أَمَلُهُ فِي الْعَاقِبَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: 78 - 80].

وَإِذَا اقْتَرَفَ ذَنْبًا لَمْ يِيَأْسَ مِنَ الْمَغْفِرَةِ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَهْمَا يَكُنْ ذَنْبُهُ عَظِيمًا فَإِنَّ عَفْوَ اللَّهِ أَعْظَمُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْظُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٧﴾﴾ [الزمر: 53].

وهو إذا أَعْسَرَ لَمْ يَزَلْ يُؤْمَلُ فِي الْيُسْرِ ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦٦﴾ [الشرح: 5، 6] وهو إذا ائْتَابَتْهُ كَارِثَةٌ مِنْ كَوَارِثِ الزَّمَنِ كَانَ عَلَى رَجَاءٍ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُوجِرَهُ عَلَى مُصِيبَتِهِ، وَيُخْلِفَهُ خَيْرًا مِنْهَا: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة: 156، 157].

وهو إذا عَادَى فِي اللَّهِ أَوْ كَرِهَ، كَانَ قَرِيبًا إِلَى الصُّلْحِ، رَاجِيًا فِي الصَّفَاءِ وَالْوِثَامِ، مُؤْمِنًا بِأَنَّ اللَّهَ يُحَوِّلُ الْقُلُوبَ ﴿وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ [المتحة: 7].

أما المادِيُّونَ فَإِنَّهُمْ يَقْفُونَ عِنْدَ السُّنَنِ الْمُعْتَادَةِ وَالْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ، لَا يَظْمَعُونَ فِي شَيْءٍ غَيْرِهَا، وَلَا يَنْفِذُونَ مِنْ وَرَائِهَا إِلَى سِرِّ الوجودِ، إِلَى اللَّهِ خَالِئِ الْأَسْبَابِ وَالْمُسَبِّبَاتِ، الَّذِي عِنْدَهُ مِنَ الْأَسْبَابِ الْبَاطِنَةِ مَا يَخْفَى عَلَى إدْرَاكِ الْعِبَادِ، لِذَلِكَ فَإِنَّ أَكْثَرَ مَا نَجِدُ الْيَأْسَ فِي صُفُوفِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَطَعُوا صَلَاتَهُمْ بِخَاقِيهِمْ وَخَالِقِ الْكُونَ، وَهَنَّاكَ ارْتِبَاطُ بَيْنِ الْيَأْسِ وَالْكَفْرِ، كِلَاهُمَا سَبَبٌ لِلْآخِرِ، وَثَمَرَةٌ لَهُ، الْيَأْسُ يَلِدُ الْكُفْرَ، وَالْكَفْرُ وِلِيدٌ لِلْيَأْسِ ﴿يَنْبَغِي أَذْهَبُوا فَتَعَسَّوْا مِنْ يَوْسَفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْفُؤْمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١٨٧﴾ [يوسف: 87].

40 - الْمُجِيبُ

معناه

مأخوذ من الإجابة، وهي تلبية الطلب، وَكَوْنُ اللَّهِ مُجِيبًا: أَي مُلَبِّيًا دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَاهُ، وَمُسْعِفًا السَّائِلَ إِذَا مَا التَّجَأَ إِلَيْهِ وَاسْتَدَعَاهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: 62]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186]. وَقَالَ تَعَالَى فِي حِكَايَةِ قَوْلِ النَّبِيِّ صَالِحٍ ﷺ لِقَوْمِهِ: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: 61] وَمَنْ عَرَفَ أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الْمُجِيبُ لِذَعَاةِ الْمُضْطَرِّ، الْقَادِرِ عَلَى كَشْفِ السُّوءِ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْعُو غَيْرَهُ، وَلَا يَلْتَجِيءُ إِلَّا إِلَيْهِ.

أثرال العلماء في تفسيره

يقول الإمام الغزالي في كتابه: «المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» في تفسير هذا الاسم: (المجيب هو الذي يُقابل مسألة السائلين بالإسعاف، ودعاء الداعين بالإجابة، وضرورة المضطرين بالكفاية، بل يُنعم قبل النداء، ويتفضل قبل الدعاء. وليس ذلك إلا الله تعالى، فإنه يعلم حاجة المحتاجين قبل سؤالهم، وقد علمها في الأزل فدبر أسباب كفاية الحاجات، بخلق الأطعمة، والأقوات، وتيسير الأسباب والآلات الموصلة إلى جميع المهمات.

العبد ينبغي أن يكون مُجيباً أولاً لربه تعالى فيما أمره به، ونهاه عنه، وفيما ندبه إليه ودعاه، ثم لعباده فيما أنعم الله عليه بالاعتدال عليه، وفي إسعاد كل سائل بما يسأله إن قدر عليه، وفي لطف الجواب إن عجز عنه، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: 10] وقال رسول الله ﷺ في حديث أبي هريرة عند «البخاري» في النكاح: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى كِرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهُدِيَتْ إِلَيَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ» وكان حضوره الدعوات وقبوله الهدايا غاية الإكرام والإيجاب منه. فكم من حسيس متكبر، يترفع عن قبول كل هدية، ولا يتبدل في حضوره كل دعوة، بل يصون جاهه وكبره، ولا يبالي تقلب السائل المستدعي، وإن تأذى بسبه، فلا حظ لمثله في معنى هذا الاسم).

ويقول الإمام المحدث مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري الشافعي رَحِمَهُ اللهُ فِي تفسير هذا الاسم في كتابه: «النهاية في غريب الحديث»: (المجيب هو الذي يُقابل الدعاء والسؤال بالقبول والعطاء، وهو اسم فاعل من أجاب يُجيب. وفي حديث أبي ذر الغفار الغفاري عند أحمد في «المسند»: «أَنْ رَجَلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ اللَّيْلِ أَجْوَبُ دَعْوَةٍ؟ قَالَ: جَوْفُ اللَّيْلِ الْغَائِبِ» ومعنى أجوب: أي أسرع إجابة، وأمضى دعوة وأنفذ إلى مظان الإجابة والقبول).

أثر هذا الاسم على العبد

إن من علم أن الله مُجيبٌ يُجيب عباده إذا دَعُوهُ، حاول أن يكون له حظٌ

من هذا الاسم الكريم، وحَظَّ العَبْدُ مِن هَذَا الاسم أَن يُجِيبَ رَبَّهُ إِذَا دَعَاهُ لَطَاعَتِهِ، ونَهَاه عَن مَعْصِيَتِهِ، وَذَلِكَ عَن طِيبِ نَفْسٍ، وَمَحَبَّةِ وَإِيمَانٍ، وَرَجَاءِ بَرِضْوَانِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، وَخَوْفٍ مِّنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ، وَإِثَارٍ لِّمَا عِنْدَهُ عَلَى شَهَوَاتِ نَفْسِهِ وَمَلذَّاتِهَا.

وَحَظَّ العَبْدُ مِن هَذَا الاسم أَيضاً أَن يُجِيبَ عِبَادَةَ اللَّهِ إِذَا سَأَلُوهُ فِيمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَلَا يَبْخُلُ عَلَيْهِمْ فِيمَا يَمْلِكُ وَأَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ، فَاللَّهُ يُحِبُّ العَبْدَ الكَرِيمَ السَّخِيَّ الجَوَادَّ، وَلَا يُحِبُّ البَخِيلَ الشَّحِيحَ المُقْتَرَّ. إِنَّ الكَرَمَ وَالسَّخَاءَ خُلُقٌ نَبِيلٌ حَسَنٌ وَعَاطِفَةٌ إِنسَانِيَّةٌ سَامِيَّةٌ، وَغَايَةٌ رَفِيعَةٌ، وَهُوَ أَعْظَمُ أُسَاسٍ يُبْنَى عَلَيْهِ المَجْتَمَعُ الإِسْلَامِي لِمَا فِيهِ مِّنْ تَقْوِيَةِ الإِلْفَةِ وَالوَحْدَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْمَجْدُ بَيْنَ المَسْلَمِينَ، وَهُوَ أَفْضَلُ سَبِيلٍ يَسِيرُ فِيهِ المَجْتَمَعُ الصَّالِحُ لِإِجَادِ التَّوْازَنِ الإِجْتِمَاعِيِّ بَيْنَ طَبَقَاتِ المَجْتَمَعِ، وَمُكَافَحَةِ الفَقْرِ وَالحَرَمَانِ وَمُوَاسَاةِ المُتَكَوِّبِينَ.

إِنَّ الدُّوَلِ العَظْمَى فِي الغَرْبِ اليَوْمِ لَمْ تَجِدْ حَلًّا لِمَشْكَلَةِ الفَقْرِ لَدَيْهَا، وَهَنَّاكَ مَنَاطِقٌ كَبِيرَةٌ فِيهَا لِتَجْمُعِ الفُقَرَاءِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ النِّظَامَ الرِّأْسَالِيَّ يَفْرِزُ النَّاسَ إِلَى طَبَقَتَيْنِ: أَغْنِيَاءَ فَاحِشِي الغِنَى وَالثَّرَاءِ، وَفُقَرَاءَ مُعْدَمِينَ، وَلَكِي تَتَوَازَنُ أُمُورُ الدُّوَلَةِ فَإِنَّهَا تَفْرِضُ الضَّرَائِبَ البَاهِظَةَ عَلَى الأَغْنِيَاءِ الَّذِينَ يَدْفَعُونَهَا كُرْهًا عَنْهُمْ، وَيَحَاوِلُونَ التَّهَرُّبَ مِنْهَا بِالْوَسَائِلِ غَيْرِ المَشْرُوعَةِ وَالمَخَالِفَةِ لِلقَوَانِينِ، وَتَطَالِعُنَا الصَّحَفُ الغَرِيبَةُ يَوْمِيًّا عَن أَخْبَارِ شَرِكَاتِ عَمَلَاةٍ وَأَشْخَاصِ ذَوِي ثَرَوَاتِ هَائِلَةٍ يَتَهَرَّبُونَ مِنَ الضَّرَائِبِ، وَلَا تَزَالُ مَشْكَلَةُ الفَقْرِ عِنْدَهُمْ تَشْكَلُ عِبْتًا عَلَى دَوْلِهَا، وَهِيَ تَتَفَاقَمُ وَتَزْدَادُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، بِمَا يُنْذِرُ بِانْفِجَارِ إِجْتِمَاعِي خَطِيرٍ وَثُورَةٍ لِلجِيَاعِ فِي العَالَمِ، بَيْنَمَا أَظْهَرَتْ دَرَاثَاتُ إِحْصَائِيَّةِ أَنَّ الثَّرْوَةَ فِي العَالَمِ تَحْصُرُ بِيَدِ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ مِنَ الجَشْعِينَ الطَّامِعِينَ، وَأَنَّ تِسْعَةَ أَشْخَاصِ أَثْرِيَاءِ فِي العَالَمِ يَمْلِكُونَ مَا يَمْلِكُهُ سَائِرُ سَكَّانِ الكُرَةِ الأَرْضِيَّةِ، وَأَنَّ الثَّرْوَةَ فِي العَالَمِ تَتَّجَّهُ إِلَى أَنَّ تَحْصُرُ فِي يَدِ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ، بَيْنَمَا سَعِيَ عَظْمُ سَكَّانِ العَالَمِ تَحْتَ خَطِّ الفَقْرِ، وَبَعْضُهُمْ فِي حَالَةِ العَدَمِ وَالمَجَاعَاتِ وَالكَوَارِثِ البَيْثِيَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَفْكُرُ أَغْنِيَاؤُهُمْ بِفُقَرَائِهِمْ وَيَعِيشُونَ فِي عَزْلَةٍ نَفْسِيَّةٍ، وَأَنَانِيَّةٍ حَيَوَانِيَّةٍ، وَكَأَنَّ الأَمْرَ لَا يَعْنِيهِمْ!! وَذَلِكَ لِأَنَّهم فَقَدُوا إِحْسَاسَهُم الإِنْسَانِي النَّبِيلَ، وَتَحَوَّلَتْ نَفُوسُهُمْ إِلَى غُولٍ بَشَعٍ يَرِيدُ ابْتِلَاعَ كُلِّ مَا حَوْلَهُ.

لَقَدْ أَوْجَدَ الإِسْلَامُ الحَلَّ لِلبَشَرِيَّةِ قَبْلَ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا مِنَ الزَّمَنِ، وَذَلِكَ

بتربية الضمير والوازع الأخلاقي لدى الأغنياء، فأعلمهم أن المال مال الله، وأنه هو الواهب الرازق، وأن له حَقًّا في هذا المال يُدفع للفقراء بنسبة معينة هي 2,5%. وهي الزكاة علاوةً على ما تجود به نفوسهم من الخير والتطوع بالصدقات وفعل الخيرات، والمسلم الغني يُخرج من يده ماله للفقراء وهو يشعر بأنه يؤدي عبادة لربه يثاب عليها رضوانه ومثوبته وعفوه وغفرانه، مع شعور أخوي كريم بإخوته الفقراء في المجتمع، فيُسرعُ إلى معاونتهم وإخراجهم من فقرهم وبؤسهم مع شعور بالمحبة فياض، وليس عن كره، وكذلك فإن من نتيجة ذلك أن يزول البغضُ والشحناء والحقد من الفقراء على الأغنياء، وتكون نتيجة ذلك سلامة المجتمع من الأحقاد والأضغان، والتكافل والتوازن الاجتماعي.